السادات

□ الرئيسُ، والإنسَان

- تفاصيل آخر يوم فى حياته كما ترويها قرينته
- جمال السادات: أبى لم يكن يرتاح لـ «بيجين» ويرى صعوبة فى التعامل معه
- سكينة السادات: الصداقة التى جمعت «السادات» و«ناصر» علمتنا الحب
- رحيل «عبد الناصر» والملك «فيصل» أقسى لحظات الحزن فى حياة السادات
- استضافته لشاه إيران رد لجميله فى حرب أكتوبر

السَّيرُ إلى النِّهاية

توقفت وأنا أقلب في مجموعة من الصور النادرة للرئيس الراحل «أنور السادات» عند صورة يظهر فيها السادات وسط عدد من كبار قادة القوات المسلحة وهم يسيرون بخطوة عسكرية شامخة متجهين إلى المنصة لمشاهدة العرض العسكري احتفالا بذكرى نصر أكتوبر .. وتساءلت .. ترى هل كان السادات يسير إلى النهاية وهو مرفوع الرأس بما حققه رجال القوات المسلحة من إنجاز تاريخي؟ ومن هنا فقد فرض اليوم الأخير في حياة أنور السادات نفسه ليمثل هذا الفصل من الكتاب وقفزت إلى السطح مشاهد هذا اليوم التي شهدت كل تفاصيله قرينة السادات السيدة جيهان التي توجهت إليها في أحد حواراتي معها بسؤال عن تفاصيل هذا اليوم الحزين .. وبعد صمت دام لدقائق شعرت خلالها بصعوبة استدعاء السيدة المكلومة لذكريات أليمة .. قالت : في ذلك اليوم أيقظت أنور مبكرا وبعد أن قام بأداء بعض التمرينات الرياضية واستسلم لمدلكه الخاص ليجري له عملية التدليك اليومية، أخذ دشا ثم أدى صلاة الصبح وتناول إفطارا خفيفا، ثم ناولته الصحف وهو جالس في سريره.. فطلب مني أن أحضر إليه حفيدتنا «ياسمين» ابنة ابننا جمال التي كانت تبلغ وقتها سنتين، وكعادته أخذ يداعبها، وأنا أستمع إلى ضحكاتهما المدوية، وأوصاني أنور أن أحضر معي إلى العرض حفيدنا «شريف»

الذي كان في الخامسة من عمره، مؤكدا على ضرورة ارتدائه الزي العسكري .. تماما كما كان يصر على ارتداء ابننا «جمال» لنفس الزي عندما كان صغيرا، والغريب أنني كنت قد رتبت نفسي على مشاهدة العرض العسكري بالتليفزيون، لكن أحد الضباط أقنعني بضرورة حضوري فجهزت نفسي للخروج قبل وقت قليل من ذهاب أنور مع كل من السيد نائب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع، وهما عادة ما يحضران كل عام في مثل هذا اليوم إلى منزلنا ليصطحبا زوجي في نفس السيارة إلى وزارة الدفاع، ويعقدون هناك اجتماعا، ثم يذهبون جميعا لمشاهدة العرض

وتتذكر السيدة جيهان السادات تفاصيل هذا اليوم فتقول :

لقد أصبح من العادات والطقوس التي أمارسها كل عام في هذا اليوم أن أساعد زوجي في ارتداء حلته العسكرية وقد كانت هناك حلة عسكرية جديدة قد وصلته قبل أيام من الترزي الخاص به، ولاحظت أن «أنور» لم يرتد القميص الواقي من الرصاص تحت البدلة الجديدة، وكان تفسيره في أول الأمر أن القميص سوف يؤثر على انسجام البدلة وأخذ يطمئنني قائلا :«اطمئني يا جيهان الأعمار بيد الله». ثم نزل للدور الأسفل لتحية السيدين نائب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع، وانتظرت «أنور» أثناء نزوله لأقدم إليه التحية العسكرية هو ونائبه ووزير دفاعه وكنت في وداعهم جميعا وأنا أقول «كل سنة وأنتم طيبين» داعية الله أن يوفقهم ويحميهم ويثبت خطاهم، ثم بعدها صعدت إلى غرفتي لأرتدي ملابسي

واستقل السيارة لموقع العرض وحَدَثَ ما حَدَث.

وتواصل السيدة جيهان روايتها عن تفاصيل ذلك اليوم المأساوي وتقول: انصرف أنور دون أن يأخذ معه عصا المرشالية التي كانت موضوعة بالقرب من باب الخروج، وفي الحقيقة سعدت بأنه لم يأخذ هذه العصا لأني أكرهها، وكثيرا ما كنت أعبر لأنور عن ضيقي منها وأسأله عن سبب تمسكه بها ، فكان يجيبني قائلا: «دي أمور عسكرية أنت لا تفهمينها .. والواقع أن «أنور» كان يعتز بعسكريته أشد الاعتزاز، وكان يعتبر هذه العصا رمزا للعسكرية .. ولعل من عجائب القدر أن المرة الوحيدة التي لم يمسك فيها عصاه كانت في ذلك اليوم.

وبعد أن وصلت إلى ساحة العرض وأثناء دخول أنور إلى المنصة لاحظت على وجهه ابتسامة مشرقة، وعندما وصل إلى موقع جلوسه، نظر إلى أعلى المنصة ليتأكد من وجودي أنا وأحفادنا وأخذ يلوح لنا .. وتطلق السيدة جيهان السادات تنهيدة عميقة تحمل ذكريات أليمة وتقول: لم تكن ابتسامة زوجي في ذلك اليوم ابتسامة عادية، لقد كانت من النوع الذي لا يمكن أن ينتهي أو يزول أثره.وحَدَثَ ما حَدَث.

ووسط الذهول الذي سيطر على الجميع أخذت أتلفت باحثة عن زوجي محاولة السيطرة على أعصابي وأنا أسير في المنصة، والتقيت بأحد رجال الحرس الجمهوري الذي غطت الدماء سترته البيضاء وسألته : أين الرئيس السادات؟ .. فأخذ الرجل يقسم

لـي أنـه حمله إلى الطائرة الـتي أقلّته إلى مستشـفى المعادي بعد أن أصيب بيده إصابة بسـيطة .. وعلى الفور ركبت السـيارة مع أحفـادي إلى الطائرة الهليكوبتر التي كانت في انتظارنا بقصر القبة والـتي طارت بنـا إلى مستشـفى المعادي .. وعندمـا وصلت إلى المستشـفى قرأت علـى الوجوه ما كان يعلوهـا من حزن ووجوم، واسـتبد بي القلـق عندما علمت أن زوجـي في غرفة العمليات .. ومع مرور الساعات كانت مساحة الغموض تزداد، فاستدرت نحو السيد حسـني مبارك نائب رئيس الجمهورية وقلت له : يبدو أن «السـادات» الآن بين يدي ربه، وقد جاء دورك يا سـيادة النائب لقيادة الأمة .. أرجوك تفضل فقد حان وقت رعايتك لمصر .. فنظر إلـيَّ الرجل وهـو في قمة التأثر ولم يتكلم .. قلـت ذلك ولا يزال بصيـص من الأمل يراودني وأنا في طريقـي إلى غرفة العمليات .. لكن هذا الأمل سـرعان ما توارى وأنا أشاهد جسد زوجي مسجي وهو يرتدي حلّته العسكرية وقد تمزق كمها، فارتميت على صدره بينمـا كل من حولي يذرفـون الدموع الحارة .. وراح بعضهم يربط قماشاً حول رأس زوجي حتى يظل فمه مغلقاً، وبعد قليل وصلت بناتي، وقبّلْنَ أباهنَّ في ألم ولوعة.

لِماذا قُتِل السَّادات؟

وأترك السـيدة جيهان لذكرياتها وأحزانها .. وعدت أقلب في أكوام الصور التي أمامي وأسـتدعي الذكريات، وأنبش في أحداث الماضي ليبرز سؤال مرير: لماذا قتل السادات؟

ولا أجد إجابة شافية أو مريحة سوى أنه العبث وغياب الوعي بحقيقة رجل سبق عصره عندما قرر مواجهة عدوه بالذهاب إلى القدس، وعلى الرغم من انقضاء سنوات طويلة على هذا الحدث المهم وما تبعه من أحداث غيَّرت مجرى التاريخ فلا يزال الجدل قائماً ولا تزال زيارة السادات للقدس حدثاً تحت المجهر. وقد جنح البعض إلى الادعاء بأن زيارة السادات للقدس كانت واحدة من أسباب حادث المنصَّة.

راجل البيت

وبين يدي عشرات الصور التي تسجل تفاصيل زيارة السادات للقدس، والتي حملتها وأنا ألتقي مع «جمال السادات» ابن الرئيس الراحل، وطلبت منه أن يحدثني عن تفاصيل هذه الأيام فقال: في الواقع لقد كان والدي طبيعياً للغاية في تعامله معنا في الأيام التي سبقت سفره إلى القدس، كانت مشاعره مستقرة، ولا يبدو عليه أي انفعال، وقبل هذه الرحلة ودعنا وسافر إلى الإسماعيلية، وقد رجوته أن أسافر معه إلى القدس لكنه قال لي بحنان: .. يا ابني لا يوجد مكان على الطائرة .. ولم أناقشه .. وعندما شاهدته وهو يلقي خطابه في الكنيست كنت مشدوداً، ولم أتمكن من استيعاب الخطاب وقتها، لكني كنت فخوراً به للغاية وهو يتكلم وسط أعدائه بهذه القوة والثقة، أما عن قرار السفر في حد ذاته فقد كانت الأسرة جميعها تؤيد هذا القرار وتقتنع به .. وحتى الآن لا زلت لا أتخيل كيف اتخذ والدي هذا القرار ..

وكيف سافر إلى الإسرائيليين؟

ويضيف «جمال السادات» فيقول: وعلى رغم أنني كنت صغير السن وقتها لكني أتذكر أن والدي عندما ودَّعني وهو مسافر إلى القدس لم ينس أن يقول لي عبارته الدائمة: أنت راجل البيت.

وأثناء حواري مع نجل السادات قال لي: إن الرئيس الراحل لم يكن يرتاح إلى «مناحيم بيجن»، ويرى أن التفاهم معه صعب للغاية، أما الآن فإن جمال يشعر بأن والده لم يكن يهتم بنفسه، وإنما كان يعمل من أجل بلده ووطنه.

وأتذكر هذه الجملة التي قالها جمال السادات: إنني أدعو له في صلاتي كل يوم وأقول له: استرح فما فعلته لم يذهب هباءً والكل يحذو حذوك على طريق السلام.

العَومُ هو الحل

وأنا أقلب في أكوام الصور التي تضمها خزانتي للرئيس أنور السادات توقفت مرة أخرى أمام صورة نادرة.. الرئيس راكب درَّاجة، وخلفه حفيده «شريف».. لم تتمثل غرابة الصورة في ركوب رئيس الجمهورية لدراجة فحسب، ولكن في التعليق الذي سمعته من المصور فاروق إبراهيم الذي حصلت منه على هذه الصورة.. فقد التقط له هذه الصورة في استراحة المعمورة يوم جمعة بعد دقائق قليلة من أدائه صلاة الجمعة في زاوية صغيرة بأبي قير حيث فوجئ بتليفون من السيد حسني مبارك

نائب الرئيس في ذلك الوقت يبلغه باستيلاء بعض المتطرفين الفلسطينيين على سفارة مصر في تركيا واحتجاز أعضائها كرهائن، وبدلاً من أن تتوتر أعصاب الرئيس السادات اتجه إلى أحد أطفال الأسرة وكان يركب دراجة ذات بدَّالين وأخذ الدراجة، ثم حمل حفيده «شريف» ووضعه على الكرسي الخلفي، وأخذ يقود الدراجة ويسير بها وسط الأشجار في حديقة المعمورة.. وبعد دقائق ترك الدراجة وجلس في الحديقة وهو يمزح مع أفراد أسرته ويضحك بصوت عالٍ، ويرد على المكالمات التليفونية التي كانت تأتيه حول نفس الخبر دون أن تفارقه الابتسامة أو تخفت ضحكاته وكأن شيئاً لم يحدث.. ثم طلب من فاروق إبراهيم أن يتبعه إلى شاطئ المنتزه ونزل في المياه يعوم وكاميرا فاروق تلتقط له العديد من الصور وهو مستغرق في السباحة.. وفي التفكير أيضاً.

السادات الأخ

هكذا كان الرئيس السادات دائماً حسب ما ذكرته لي قرينته السيدة جيهان يفكر بهدوء شديد وبلا توتر حتى يكون قراره صائباً.. وهو ما أكدته شقيقته السيدة «سكينة السادات» في أحد حواراتي معها حين سألتها عما تعلمته من شقيقها «أنور» فقالت: لقد تعلمت منه الكثير.. ولكن أكثر شيء تعلمته هو هدوء التفكير والصبر والقناعة والتمسك بعادات وتقاليد الريف.

وتضيف السيدة سكينة السادات: لقد كان أنور رجلاً بمعنى الكلمة وربّاني أحسن تربية، وهو الذي شجعني على إكمال تعليمي.. كان بالنسبة لي أنا وإخوتي القائد والأب الذي يعطي تعليماته ونحن نحترمها بشدة.

لقد كان أنور ابنا باراً وأخاً حنوناً .. وأتذكر هنا ما قالته لي السيدة جيهان بأنها شاهدت الدموع في عيني أنور السادات طوال حياتها معه مرتين .. الأولى يوم ماتت أمه بين ذراعيه. والمرة الثانية عندما استمع لخبر استشهاد شقيقه الأصغر «عاطف» في أول أيام حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. فقد كان يحب «عاطف» حباً كبيراً ويعتبره ابناً له حيث كان أنور يكبره بحوالي ٢٧ سنة .

السادات الأبُ والصديق

دفعتني كلمات السيدتين جيهان وسكينة السادات إلى التنقيب والبحث في صور وحكايات أنور السادات الأب.. وأعود مرة أخرى إلى حواري مع جمال السادات عندما سألته عن أنور السادات الأب الذي كان يقول له دائماً – كلما سافر– أنت راجل البيت.. يقول جمال: على رغم حرص والدي على تربيتنا على القيم والتقاليد والمبادئ إلا أنه لم يكن أباً شديداً أو قاسياً. ولذلك كنا نسعى دائماً أنا وإخوتي أن نكون عند حسن ظنه ولا نغضبه.. كنت أنا وإخوتي نحرص ونحاسب في كل تصرفاتنا خوفاً على زعله خاصة وأنه كان هادئاً في تعامله معنا

ولم يعنف أو يضرب أحداً منا.. لقد كان شـديد الطيبة.. وعلى رغم كثرة مشاغله كان حنوناً جداً على أبنائه ويهتم بكل شئوننا أنـا وإخوتـي.. كان يوجهنـا في هدوء ولا يتدخـل في قراراتنا واختياراتنا.. وأتذكر أنني في بداية دراسـتي الجامعية كنت قد التحقـت بكلية الطب ثم غيرت رأيي وقررت الانتقال إلى كلية الهندسـة وعندما حاولت والدتي التدخل بالنصيحة قال لها: اتركيه يأخذ قراره بنفسه ويبتسم جمال الابن وهو يعود بذاكرته لموقف لأنور الأب معه ويقول: بعد فترة من تدخيني السـجائر وكنت أتصور أنه لا يعلم، فوجئت في مساء يوم وأنا جالس معه نشاهد أحد الأفلام أن وضع ذراعه على كتفي وقال: يا بني إذا كان ولابـد من التدخين فدخن «بايب» بدلاً من السـجاير التي تضر بصحتك.. فقد كان من وجهة نظره أن «البايب» أقل ضرراً من السجاير..

لقد كان تدخين «البايب» يسـعده جداً لدرجة أنه لم يسـتمع لنصائح الأطباء بالامتناع عنه، وكنت أشعر أنه يستمتع وهو ينفث دخان «البايب» في الهواء.

ويضيف جمال الابن.. على رغم طيبة أبي الشديدة إلا أنه كان يغضب بشدة عندما يتدخل أحد في عمله أو حتى مجرد أن يسأله سواء كنت أنا أم أحد من إخوتي ولا حتى أقرب أصدقائه إليه وفي مقدمتهم الراحلان «سـيد مرعي» و«عثمان أحمد عثمان» على رغم أنـه كان يرتاح كثيراً لعثمان خاصة بعد المصاهرة. وكان هو رفيقه

الدائم في فترة التمشية التي كان يمارسها والدي دائماً وبشكل شبه يومي في الهواء الطلق عصراً.. كما كان يقدر "زكريا محيي الدين" ويحبه. هذا غير علاقته الوطيدة بالرئيس الراحل «جمال عبد الناصر»..

وقد أكدت السيدة «جيهان السادات» في حديثها معي على عمق هذه العلاقة حين قالت: كان أنور يحب عبد الناصر ويحترمه، وكانا يقضيان معاً وقتاً طويلاً. وكثيراً ما كان أنور يتناول عشاءه في بيت عبد الناصر أو يتناول عبد الناصر عشاءه في بيتنا، وكان عبد الناصر يثق بأنور أكثر من غيره مدركاً أنه زاهد في السلطة.

أما «سكينة السادات» فعندما سألتها عما بقي في ذاكرتها عن العلاقة بين «عبد الناصر» و«السادات» قالت: الواقع أنهما علمانا الحب من خلال علاقتهما الوطيدة.. لقد عشنا طوال عمرنا نعتبر «ناصر» الأخ الأكبر مثله مثل «أنور».

السادات الإنسَان

لقد كان أنور السادات رجلاً عنيداً في قراراته ولم يكن يسمح لأحد أن يتدخل فيها.. وعندما قلت للسيدة جيهان: إن البعض يردد أنك كنتِ تشاركينه قراراته وأنه كان كثيراً ما يعود إليك قبل اتخاذ القرار.. نفت ذلك وأكدت أنه لم يكن يسمح لأحد بأن يتدخل في عمله.

على رغم مظاهر العظمة والقوة التي كان يبدو عليها الرئيس السادات

في حياته ومواقفه السياسية، فقد كان في حياته العادية الشخصية ووسط أسرته إنساناً بسيطاً للغاية مثله مثل أي مواطن عادي.. كانت أسعد لحظات حياته عندما يداعب أحداً من أحفاده ويجلس معه على «المرجيحة» في حديقة الاستراحة.

ويتذكر جمال السادات حالة السعادة البالغة التي كان عليها والده عند إعادة افتتاح قناة السويس عام ١٩٧٥ ويقول: لم أرَ والدي في قمة سعادته مثلما كان في هذا اليوم، وكان يرتدي الحلة البحرية، على رغم أن البعض انتقد ارتداءه لهذا الزي واعتبروه نوعاً من المظهرية. وهو في الواقع لم يكن يقصد المظهرية، وإنما باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة، وطالما أنه سيلتقي برجال البحرية فكان يفضل أن يظهر وكأنه واحد منهم، وهو بصفة عامة لم يكن يرتدي الزي العسكري إلا في المناسبات التي تحمل الطابع العسكري مثل مناسبة ٦ أكتوبر، وهي إحدى المناسبات أيضاً التي كان يبدو فيها دائما في قمة سعادته.

وعلى الجانب الآخر كإنسان فقد كانت هناك مواقف صعبة جداً على نفس أنور السادات شعر خلالها بالحزن العميق.. وقد روي لي جمال السادات تفاصيل بعض هذه المواقف ومنها يوم سقوط الطائرة التي كانت تقل المشير «أحمد بدوي». ولحظتها وقف يضرب كفاً بكف ويقول: «قيادتي راحت». وكان يبدو عليه الحزن الشديد. كما حزن حزناً شديداً عندما جاءته المكالمة التليفونية بنبأ اغتيال الملك «فيصل» لأنه كان يحمل له تقديراً

ومعزة خاصة، وعلى رغم أنه كان شديد الإيمان إلا أنه في مثل هذه المواقف لا يتمكن من السيطرة على مشاعره؛ أما يوم رحيل الرئيس عبد الناصر فكان أصعب الأيام وأكثرها حزناً في حياته.

لم يكن السادات الإنسان يختلف في شيء من طباعه وخصاله عن كل ما يتصف به ابن البلد المصري الأصيل من مجاملة، ورد الجميل كلما أتيحت أمامه الفرصة، وليس أدل على ذلك من موقفه من «شاه» إيران واستضافته له في مصر، في الوقت الذي تنكر له كل رؤساء العالم الذين كانت تجمعه بهم صداقات مختلفة بينما لم يكن صديقاً شخصياً له.. وفي رد السادات على الذين انتقدوا قراره باستضافة شاه إيران قال: «إنني لا أنسى موقفه معي في حرب أكتوبر، ولم يكن من الممكن أن أتخلى عنه، وهو في هذه المحنة، فاتخذت هذا القرار الذي أيَّدني فيه شعبي بعد أن تفهم موقفي.

وعلى رغم مسئولياته الجسام .. كان أنور السادات إنساناً يعيش حياته ويمارس هواياته، كما كانت له مجموعة كبيرة من الفنانين يلتقي بهم في جلسات خاصة يستمع إلى آرائهم وإبداعاتهم.. وقد حظي الفنان «محمد نوح» بموقع خاص في قلب الرئيس السادات حتى إنه أمر بتخصيص شقة خاصة به بالقرب من منزل الرئيس، وسمح له بتسجيل بعض جلساته الخاصة، ولا يزال «محمد نوح» يحتفظ بالعديد من هذه التسجيلات المهمة التي يقول: إنها ثروة سيتركها لأولاده، كما كانت جلسات السادات الخاصة كثيراً

ما تضـم الفنانين «بليغ حمدي» و«سـيد المـلاح» و«فايز حلاوة» وغيرهم.

يومٌ فى حَياتِه

كثـيرة هي الصور والحكايات في حيـاة الرئيس الراحل والتي تضمها خزانتي ولا يمكن حصرها، وقد استوقفتني بعض هذه الصور النـادرة التي التقطتها كاميرا المصور فاروق إبراهيم وهو يصور يوماً في حياة الرئيس أنور السـادات.. ويومها قال له السادات «يا واد أنـا مش ممثل أنـا فلاح.. وعاوزك تصورني بصدق شـديد.. وأنا لما أوافق على حاجة تاخدها على طبيعتها،وهو ما حدث بالفعل.. فكانـت الحصيلة مجموعـة من الصور الفريدة للرئيس السـادات حيث تابعته الكاميرا منذ اسـتيقاظه، وعنـد دخوله الحمام وهو يغسـل أسـنانه ويحلق ذقنه، ويمارس رياضة «اليوجا»، ويتناول إفطاره ويرتدي ملابسه.. عشرات وعشرات من الصور التي عندما شـاهدتها السيدة جيهان بعد نشرها في جريدة أخبار اليوم أعربت عن استيائها الشديد.. ورد عليها الرئيس السادات قائلاً:

« انتم ما بتفهموش حاجة.. هي دى الصحافة ».

▲ المؤلف يحاور جيهان السادات

▼ ويحاور جمال السادات

يداعب حفيده

مع
جيهان

السادات يصلي
بالمسجد الاقصى